

مدخل مفاهيمي

حول أهم المفاهيم التي تتمحور حول السياسة:

١. **الدولة: State** : عندما يكون الحديث عن الدولة لا يمكن ان نتكلم عن معنى واحد للدولة، وذلك تاريخياً يمكن أن نرصد عدة تحولات وتغيرات وتطورات لمعنى الدولة، فالدولة مع اليونان كانت تشير الى المدينة، لأن اعلى التنظيمات السياسية والإدارية آنذاك كانت حدود المدينة، والتي تقتصر على الممارسات السياسية ذات المدى المحدود جغرافياً وسكانياً، لصغر حجم الدولة وقلة سكانها، كما في دولة المدينة في اثينا، هذا هو المعنى الاول والنموذج الاول لمفهوم الدولة، بينما فيما بعد معاهدة وستفاليا ١٦٤٨، وظهر مفهوم الدولة القومية وحقوقها تغيرت خارطة الدولة وحدودها وطبيعة العلاقة مع ساكني حدودها الجغرافية، وفي ما بعد جرى الحديث عن الدولة الوطنية التي قد تذيب داخلها حتى القوميات، اما اليوم فهناك الدول التي تسمى ما بعد الامة او ما بعد القومية والوطنية، وهي الدول المفتوحة على غيرها او تشارك معها عبر اتحادات إقليمية كما في مشروع الاتحاد الاوربي.

ويمكن ان يكون هناك تعريف للدولة بمختلف قسماتها على أنها: المجموعة البشرية التي تقطن مساحة معينة من الارض، وتحكمها سلطة سياسية تتمتع بالسيادة في تطبيق قوانينها على مواطنيها وأرضها. وبكلمة اخرى هي " الكيان الدستوري، المتكون من ارض وسكان وحكم، وهي اعلى اشكال المؤسسات السياسية للجماعات المتحضرة". اما ما يميز الدولة عن غيرها من التشكيلات الجماعية الإنسانية الاخرى في كونها تمتلك السيادة، فالمقاطعة هي مجتمع اقليمي مقسم على حكومة ورعايا. وقد تكون النقابة او الكنيسة كذلك. ولكن ايا من هذه المجتمعات لا تمتلك سلطة قسرية عليا. بل وعلى كل منها ان ترجع علاقاتها الى تلك العلاقات التي تسبغ السلطة القسرية العليا عليها صفة الشرعية. ذلك ان ارادة الدولة لا تقبل التحدي من الناحية الرسمية، والا لما امكن ان تكون إرادة عليا. ولهذا السبب ذاته لا تقبل ارادتها التقسيم ولا التغيير فإرادة الدولة ذات سيادة؛ لأنها تصدر اوامرها للجميع ولا تتلقى اوامرها من احد، ومن ثم فأوامرها قانون ملزم لكل من يقع في دائرة اختصاصها". إنه لمن الطبيعي ان يجتمع الناس ليشكلوا مجتمعاً سياسياً. فالدولة لا تزيد عن كونها شيئاً اصطناعياً، فهي ليست تجمعاً عفويّاً بين الافراد.

٢. النظريات المفسرة لنشأة الدولة:

ظهرت عدة نظريات في تفسير نشأة الدولة، كلها تنطلق من البحث في أصل السلطة السياسية وهي بمثابة مصدر أساسي لتكوين الأفراد من الناحية السياسية للوصول الى نتيجة محكمة تساعدهم في تحليل الممكنات المستعملة سياسيا ؛ وعلى هذا الاساس تعددت النظريات المفسرة لنشأة الدولة وهي كالاتي:

١ **النظريات التي تعتبر الدولة ظاهرة قوة:** تنطلق هذه النظرية من فكرة جوهرية مفادها أن السلطة السياسية تقوم أساساً على الإكراه، وتمثل أداة سيطرة بيد من يملك فرض نفوذه على الآخرين. فجوهر الدولة، وفق هذا التصور، يكمن في سلطة القهر المنظمة التي تفرض النظام وتلزم الأفراد بالطاعة. وقد أكد علم الاجتماع والأنثروبولوجيا السياسية على هذا البعد القهري للسلطة داخل المجتمعات. ففي الدولة الليبرالية مثلاً، يتجلى الإكراه بشكل منظم وموجه للحفاظ على المصلحة العامة كما تحدها الفلسفة الليبرالية. ومن أبرز النظريات التي تبني نشأة الدولة على القوة، النظرية التي ترى أن الدولة ظهرت نتيجة الصراعات بين الجماعات البدائية؛ إذ أدى خضوع جماعة لسيطرة جماعة أخرى إلى قيام طبقة حاكمة وأخرى محكومة ضمن إقليم محدد، ومن ثم تبلورت نواة الدولة عبر هذا الانقسام الطبقي.

٢. **نظرية التطور التاريخي أو الطبيعي:** يطلق عليها مفكري العلوم الاجتماعية النظرية التطورية المفسرة لنشأة الدولة، إذ ترجع أصل نشأة الدولة إلى عوامل متعددة تفاعلت منها القوة المادية و الاقتصادية، كذلك العوامل الدينية والمعنوية والعقائدية تختلف من دولة إلى أخرى؛ لأنه قد يكون أحد هذه العوامل مهم بالنسبة لنشوء دولة معينة في حين لا تكون ذات أهمية لدولة أخرى. ويرى المتخصصين المعاصرين في هذا المجال بأن الدولة ظاهرة طبيعية، تبحث عن تفاعل عوامل عديدة ساهمت عبر مراحل تاريخية في نمو شعور لدى الأفراد والجماعات بضرورة التعايش معا في أماكن محددة في مجال الجانب الطبيعي. وبحسب هذه النظرية أن الدولة ظاهرة طبيعية نتجت عن تفاعل عوامل مختلفة اقتصادية واجتماعية وعقائدية، وذلك عبر فترات طويلة من التطور التاريخي الذي أدى إلى تجمع الأفراد للتعايش معا، وتطورت الأحوال بعد ذلك بظهور فئة حاكمة لهذه الجماعة فرضت سيطرتها عليها، وقبضت على ناحية الأمور فيها مما أدى في النهاية إلى نشأة الدولة.

٣. نظرية الأسرة: ترى هذه النظرية أن الدولة نشأت من الأسرة بوصفها الخلية الأولى للمجتمع؛ إذ تفرعت منها العشيرة، ثم القبيلة، ثم اتحاد القبائل في مدن، ومن اتحاد المدن تكوّنت الدولة، وقد تبنى أرسطو هذا التصور، مؤكداً أن الإنسان كائن اجتماعي لا يمكنه العيش منعزلاً، فهو يعيش كفرد، وعضو في أسرة، ومواطن في دولة. ومن هنا اعتبر أن الاجتماع بين الذكر والأنثى بغرض التناسل هو الأساس لتكوين الأسرة، ومنها نشأت القرى، ثم الدولة. كما وجد هذا الطرح لمؤيديه بعد أرسطو، منهم بودان: الذي رأى أن الدولة اتحاد عائلات تحت سلطة حاكم واحد، ودوجي الذي اعتبر سلطة رب الأسرة النواة الأولى لسلطة الحاكم في المجتمعات السامية، بينما شدد بارتملي على أن تكوين الدولة تعبير عن غريزة اجتماعية طبيعية في الإنسان، وهو ما أكدّه برجسون حين عدّ النزوع الجماعي نزعة فطرية موازية للنزعة الفردية.